# قوة الحافظة عند من ائتمنهم الله تعالى لحفظ كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وكيف هيأ الله تعالى لهذه الأمة جيلا عظيما يحمل في وعاء قلبه كتاب الله وسنة نبيه بمنهج لم يكن لأحد من الأمم قبلنا.

قال الله تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿الحجر: ٩﴾

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَحْرِيفَ الْغَالِينَ) رواه البيهقي في (الكبرى) (10/ 209) (ح21439) وصححه الألباني في (مشكاة المصابيح) (1/ 53) (ح248) والسفاريني الحنبلي في القول العلي227 وقال: صحيح

قال الإمام النووي: وهذا إخبار منه صلى الله عليه وسلم بصيانة العلم وحفظه وعدالة ناقليه، وأن الله تعالى يوفق له في كل عصر خلفاً من العدول يحملونه وينفون عنه التحريف، وهذا تصريح بعدالة حامليه في كل عصر وهكذا وقع ولله الحمد وهذا من أعلام النبوة ولا يضر مع هذا كون بعض الفساق يعرف شيئاً من العلم فإن الحديث إنما هو إخبار بأن العدول يحملونه لا أن غيرهم لا يعرف شيئاً منه والله أعلم] تهذيب الأسماء واللغات 1/17.

وفي ذلك يقول ابن الجوزي - رحمه الله: (ولِتَكْرِيمِ هذه الأُمَّة أسبابٌ هيَّأها الله عز وجل وأكرَمَها بها، منها: وفور العقل، وقوة الفهم، وجودة الذهن... ولِقُوَّة أذهانِ أُمَّتِنا قَدَرَتْ على حِفظ القرآن، وقد كان مَنْ قَبْلَهم يقرأ كِتابه من الصُّحف... وفضائلُ أُمَّتِنا وما مُيِّزَت به كثير، إلاَّ أنَّ من أعْجَبِ ذلك حِفْظَ الله عز وجل لكتابنا عن التبديل، قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: 9]. فما يُمكن تبديلُ كلمةٍ منه، وقد بُدِّلت الكتبُ قبلَه، ومن ذلك أنَّ سُنَّة نبيِّنا مأثورةٌ ينقلها خلفٌ عن سلف، ولم يكن هذا لأحدٍ من الأمم قبلها. ولَمَّا لم يكن لأحدٍ أنْ يُدخل في القرآنِ شيئاً ليس منه، أخذ أقوام يزيدون في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويُنقصون ويُبدلون، ويَضَعون عليه ما لم يقل، فأنشأ الله عز وجل علماءَ يذبُّون عن النقل، ويوضِّحون الصحيح، ويفضحون القبيح، وما يُخْلِي الله عز وجل منهم عصراً من العصور...(الموضوعات ج1 ص30)

قال أبو علي الضرير: قلت لأحمد بن حنبل: كم يكفي الرجل من الحديث للفتوى؟ مائة ألف؟ قال: لا. قلت: مائتا ألف؟ قال: لا. قلت: ثلاثمائة ألف؟ قال: لا. قلت: أربعمائة ألف؟ قال: لا. قلت: خمسمائة ألف؟ قال: أرجو. سير أعلام النبلاء ج14 ص423

# قوة الحافظة عند الإمام البخاري رحمه الله

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "وقال محمد بن حمدويه: سمعت البخاري يقول: أحفظ مائة ألف حديث صحيح، وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح. "مقدمة فتح البارى " (ص 488)

وفي قصته العجيبة أراد أهل بغداد أن يختبروه فأتوا بعشرة أشخاص كل واحد منهم يعطيه عشرة أحاديث مقلوبة الأسانيد .. فأعاد لهم البخاري المئة حديث بسندها الصحيح، وليس العجيب إعادته للأسانيد الصحيحة فقط بل إنه حفظ وأعاد لكل واحد من العشرة سند أحاديثه المقلوبة ثم عدلها كلها!!

ومن طرائف الإمام البخاري رحمه الله أنه أراد يوماً أن يرسل من نيسابور رسائل إلى قريبات له في بخارى فحاول جاهداً تذكر أسمائهن فلم يستطع، وهو الذي يتذكر ٱلاف الأسماء والأسانيد؛ لأنه حين كان مهتماً في العلم لم ينسَ شيئاً منه بينما كانت الأمور الأخرى ليست من أولويات اهتماماته.

قال الحاشد بن إسماعيل: كان أبو عبد الله البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة، وهو غلام، فلا يكتب، حتى أتى على ذلك أياما، فكنا نقول له: إنك تختلف معنا ولا تكتب، فما تصنع؟ فقال لنا يومًا بعد ستة عشر يومًا: إنكما قد أكثرتما عليّ وألححتما، فأعرضا عليّ ما كتبتما؟ فأخرجنا إليه ما كان عندنا، فزاد على خمسة عشر ألف حديث فقرأها كلها عن ظهر قلب، حتى جعلنا نُحْكِمُ كتبنا على حفظه، ثم قال: أترون أني أختلف هدرًا وأضيع أيامي!؟ فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد! [سير أعلام النبلاء: 12/408].

قال أبو الأزهر: "كان بسمرقند أربعمائة ممن يطلبون الحديث فاجتمعوا سبعة أيام، وأحبوا مغالطة محمد بن إسماعيل البخاري، فأدخلوا إسناد الشام في إسناد العراق، وإسناد اليمن في إسناد الحرمين، فما تعلقوا منه بسقطة، لا في إسناد ولا في متن" [سير أعلام النبلاء: 12/411].

# قوة الحافظة عند الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله

قال أبو جعفر الرازي يقول : سمعت أبا عبد الله بن وارة يقول : كنت عند إسحاق بن إبراهيم بنيسابور فقال رجل من أهل العراق: سمعتُ أحمد بن حنبل يقول: صح من الحديث سبعمائة ألف، وهذا الفتى – يعني أبا زرعة - قد حفظ سبعمائة ألف.

يقول علي بن المديني رحمه الله: (ليس في أصحابنا أحفظ من أبي عبد الله أحمد بن حنبل) الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم (1/ 295)؛ حلية الأولياء، (9/ 165).

ومن قوة إتقان الإمام احمد قال عنه ابنه عبد الله: (قال لي أبي: خذْ أيَّ كتابٍ شئتَ من كتب وكيع. فإنْ شئتَ أنْ تسألني عن الكلام حتى أخبرك بالإسناد، وإنْ شئتَ بالإسناد، حتى أخبرك عن الكلام) تاريخ الإسلام، للذهبي (18/ 68)؛ طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي (2/ 28).

قال البيهقي : "أراد ما صح من الأحاديث وأقاويل الصحابة والتابعين" فرحم الله الحافظ البيهقي فقد أزال عن القلب غمة ورفع عن الدين أكبر وصمة بهذه الإفادة التي شرح فيها هذه المقالة؛ فبيَّن أن مرادهم بهذه الأعداد العظيمة ما يشمل السنَّة وآثار الصحابة والتابعين لأنهم كانوا يقولون: لو لم نكتب الحديث من عشرين وجهاً ما عرفناه "التراتيب الإدارية" (2 / 204)

وكانوا يعدُّون في ذلك المكرر، والأثر، وفتوى التابعي، وما فسر، ونحو ذلك ، وإلا فالمتون المرفوعة القوية لا تبلغ عُشر معشار ذلك " انتهى من"سير أعلام النبلاء" (11 / 187) .

قال محمد بن أبي حاتم رحمه الله: (قلت لأبي عبد الله: كيف كان بدءُ أمرك في طلب الحديث؟ قال: ألهمتُ حِفْظَ الحديث وأنا في الكُتَّاب. قال: وكم أتى عليك إذ ذاك؟ قال: عشر سنين أو أقل، ثم خرجتُ من الكُتَّاب بعد العشر فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره، وقال يوماً فيما كان يقرأ للناس: سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم، فقلتُ له: يا أبا فلان! إنَّ أبا الزبير لم يروِ عن إبراهيم، فانتهرني، فقلت له: ارجع إلى الأصل إنْ كان عندك، فدخل ونظر فيه، ثم خرج، وقال لي: كيف هو يا غلام؟ قلت: هو الزبير بن عدي عن إبراهيم، فأخذ القلمَ مني وأحْكَمَ كتابَه، فقال: صدقتَ، فقال له بعض أصحابه: ابنُ كمْ كنتَ إذْ رددتَ عليه؟ قال: ابنُ إحدى عشرة) تاريخ بغداد، (2/ 7)؛ تاريخ دمشق، (52/ 57).

وقال أبو زرعة: "كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث، فقيل له: وما يدريك؟ قال: ذاكرته وأخذت عليه الأبواب" [الحفظ على حفظ العلم، ص: 53].

# قوة حفظ قتادةُ ابن دعامة

قال الإمام أحمد رحمه الله: (كان قتادةُ ابن دعامة أحفظَ أهل البصرة، لا يسمعُ شيئاً إلاَّ حفظه، قُرِئَ عليه صحيفة جابرٍ مرةً واحدة فحَفِظَها) (سير أعلام النبلاء، (5/ 276)؛ تذكرة الحفاظ، (1/ 123).

وقال معمر رحمه الله: (رأيتُ قتادةَ قال لسعيد بن أبي عَرُوبَة: أمسكْ على المُصحف، فقرأ البقرة فلم يخطئ حرفاً، فقال: يا أبا النضر! لأنا لصحيفة جابرٍ أحفظُ مني لسورة البقرة) التاريخ الكبير للبخاري (7/ 186) حلية الأولياء لأبي نعيم (2/ 334).

ويقول قتادة رحمه الله عن نفسه: (ما قلتُ لِمُحَدِّثٍ قطُّ أَعِدْ عليَّ، وما سَمِعَتْ أُذناي شيئاً إلاَّ وعاه قلبي) تهذيب الكمال للمزي (23/ 512) تذكرة الحفاظ (1/ 123)

# قوة حفظ الإمام الزهري رحمه الله (ابن شهاب القرشي الزهري أبو بكر المدني)

يقول الإمام الزهري عن نفسه: (ما استعدْتُ حديثاً قطُّ، ولا شككتُ في حديثٍ إلاَّ حديثاً واحداً، فسألتُ صاحبي فإذا هو كما حفظتُ)

الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (2/ 253) (رقم1767) سير أعلام النبلاء (5/ 344)

وكان ابن شهاب الزهري يسمع العلم من عروة وغيره فيأتي إلى جارية له وهي نائمة فيوقظها، فيقول: اسمعي، حدثني فلان كذا، وفلان كذا، فتقول: ما لي ولهذا الحديث؟ فيقول: قد علمتُ أنك لا تنتفعين به، ولكن سمعته الآن فأردتُ أن استذكره! [الجامع لأخلاق الراوي: 2/268]

أن هشام بن عبد الملك سأل الزهري أن يملي على بعض ولده، فدعا بكاتب فأملى عليه أربع مائة حديث ثم خرج الزهري من عند هشام، قال أين أنتم يا أصحاب الحديث! فحدثهم بتلك الأربعمائة حديث، ثم أقام هشام شهرا أو نحوه ثم قال الزهري: إن ذلك الكتاب الذي أمليت علينا قد ضاع، قال: فلا عليك، ادع بكاتب [فدعا بكاتب] فحدثه بالأربعمائة حديث! ثم قابل هشام بالكتاب الأول فإذا هو لا يغادر حرفا واحدا ! (تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر ج ٥٥ ص ٣٣٢)

# حفاظ آخرون للأحاديث والآثار

* قال الإمام مسلم رحمه الله: صنفتُ هذا المسند الصحيح من ثلاثمائة ألف حديث انتخبت منها ما ضمنته كتاب "السنن"
* وقال الحاكم في "المدخل": كان الواحد من الحفاظ يحفظ خمسمائة ألف حديث.
* **وعن أحمدَ بن إبراهيم بن جعفر القِمني**، الفقيه المُفْتي الضرير وكان في الحفظ آيةً، يحفظ السطورَ الكثيرة والأبيات مِن سماعها مرَّةً واحدة، وكان يقعُد يوم الجمعة تحتَ الخطيب، فيحفظ الخُطبة، إلا أنَّه كان لا يثبُت حفظُه الذي مِن مرَّة واحدة، وكان فيه صلاحٌ وديانة، وله أدبٌ ونظْم. اهـ. ("المنهل الصافي" (1/209)
* وقال **أحمد بن إسرائيل:** كنتُ في الديوان "أيَّام محمَّد الأمين"، فما كان أحدٌ مِن أهل الديوان أصغرَ مني، ولقد كنتُ أنسخ الكُتب، فلا أفرغه حتى أحفظَ ما فيه حرفًا حرفًا، وكنت ربما امتُحِنتُ إذا فرغتُ من الكتاب بأن يُؤخَذ مِن يدي فيُقال: هاتِ ما فيه، وأسرده مِن أوَّله إلى آخرِه، فلا أسقط ممَّا فيه حرفًا واحدًا، فعلتُ هذا مرَّات كثيرة لا أُحصيها. (الذهبي في "تاريخ الإسلام"، والصفدي في "الوافي بالوفيات")
* **و**قال القاضي عِياض قال أحمد بن سعيد الهمداني: قرأ علينا **إسحاقُ بنُ الفُرات** موطأ مالك من حِفْظه، فما أسقطَ حرفًا فيما أعلم. "ترتيب المدارك" (1/459)
* وعن ابن حميد قال: سمعتُ مِهرانَ الرازيَّ يقول: كتبتُ عن **سفيانَ الثوريِّ** أصنافَه، فضاع مني كتاب الديات، فذكرتُ ذلك له، فقال: إذا وجدتُني خاليًا فاذكُرْ لي حتى أُمليَه عليك، فحَجَّ، فلمَّا دخَل مكَّة، طاف بالبيت، وسعَى، ثم اضطجع فذكَّرتُه، فجَعَل يُملي عليَّ الكتاب، بابًا في إثر باب، حتى أملاه جميعَه من حِفظه، وقال عبدالرزَّاق وغيره، عن سفيان، قال: ما استودعتُ قلْبي شيئًا قط فخانني. "سير أعلام النبلاء" (7/247)
* **وعن قُرْطُمَة الحافظ الباهِر أبي عبدالله محمَّد بن علي البغدادي**، وكان آية في الحِفظ والرِّواية قال ابن عقدة: سمعت داودَ بن يحيى يقول: الناس يقولون: أبو زرعة أبو حاتم في الحِفْظ، واللهِ ما رأيتُ أحفظَ مِن قرطمة؛ دخلتُ عليه فقال لي: ترى هذه الكتب خُذْ أيها شئتَ حتى أقرأ، قلت: كتاب الأشربة، فجَعَل يسرُد مِن آخرِ الباب إلى أوَّله حتى قرأَه كلَّه. "تذكرة الحفَّاظ" (2/745)
* وعن يحيى بن مَعين قال: سمعتُ **وكيعَ بن الجرَّاح** يقول: ما كتبتُ عن سفيانَ الثوريِّ حديثًا قطُّ كنتُ أحفظه، فإذا رجعتُ إلى المنزل كتبتُه. "تاريخ بغداد" (13/475)
* وذكر عن العسال محمد بن أحمد أنه أملى أربعين ألف حديث من حفظه .
* وذكر عن خالد بن سعد القرطبي أنه حفظ عشرين حديثاً من مرة واحدة .
* والجعابي -رحمه الله- دخل الرقة، وكان له قمطرين من الكتب، فأنفذ غلامه ليأتي بالكتب فضاعت الكتب، فرجع الغلام مغمومًا، قال: ضاعت الكتب، فقال: يا بني لا تغتم، فإن فيها مائتي ألف حديث لا يشكلها عليّ منها حديث، لا إسنادًا ولا متنًا [الحث على حفظ العلم، ص: 98]
* قال ابن شبرمة: سمعت الشعبي يقول: "ما كتبت سوداء في بيضاء إلى يومي هذا، ولا حدثني رجل بحديث قط إلا حفظته، ولا أحببت أن يعيده عليّ، ولقد نسيت من العلم ما لو حفظه أحد لكان به عالمًا" وقال: (لو شئت لأنشدتكم شهرا ولا أعيد) [تذكرة الحفاظ: 1/66]
* وذكر عن يحي بن يمان الكوفي أنه كان يحفظ في المجلس الواحد خمس مائة حديث .
* وذكر عن يزيد بن هارون أنه قال: أحفظ أربعة وعشرين ألف حديث بالإسناد ولا فخر.
* وذكر أن حفص بن غياث أملى ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف حديث من حفظه .
* وذكر أنه يروى أن هشام الكلبي حفظ القران في ثلاثة أيام .
* وذكر أن سعيد بن منصور أملى عشرة آلاف حديث من حفظه .
* وذكر عن محمد بن المظفر البغدادي أنه كان يحفظ عن شيخه الباغندي فقط مائة ألف حديث.
* وذكر أن ابن الجوزي كتب بأصبعه ألف مجلد .
* وذكر عن أبي عمرو بن الصلاح أنه حفظ المهذب في الفقه ولم يظهر شاربه .
* وذكر عن النووي رحمه الله أنه حفظ كتاب (التنبيه) في أربعة أشهر ونصف، وفي بقية السنة قرأ المهذب من حفظه على شيخه الكمال اسحاق بن أحمد. وغير هذا كثير .
* وقال ابن خشرم: "كان إسحاق بن راهوية يملي علي سبعين ألف حديث حفظًا" [الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: 2/253]
* قال أبو الزعيزعة كاتب مروان بن الحكم أن مروان بن الحكم دعا أبا هريرة فأقعده خلف السرير فجعل يسأله، وجعلت أكتب، حتى إذا كان عند رأس الحول دعا به فأقعده من وراء الحجاب فجعل يسأله عن ذلك الكتاب، فما زاد ولا نقص ولا قدم ولا أخر.(تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر - ج ٢٠ ص ٨٩)
* وقال إسحاق بن إبراهيم الحنظلي: "أعرف مكان مائة ألف حديث كأني أنظر إليها، وأحفظ منها سبعين ألف حديث من ظهر قلب صحيحة، وأحفظ أربعة آلاف حديث مزورة، فقيل: ما معنى المزورة؟" قال: "إذا مر بي منها حديث في الأحاديث الصحيحة فَلَّيْتُهُ منها فليًا" [الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: 2/254].
* وسفيان الثوري -رحمه الله- قبل ذلك من أشد الناس حافظة، قال: "ما استودعت أذني شيئًا قط إلا حفظته، حتى أمُرُّ بكذا فأسد أذني؛ مخافة أن أحفظها" [حلية الأولياء: 6/368].
* قال أبو زرعة الرازي: في بيتي ما كتبته منذ خمسين سنة ولم أطالعه منذ كتبت، وإني أعلم في أي كتاب هو، في أي ورقة هو، في أي صفحة هو، في أي سطر هو، وما سمع أذني شيئًا من العلم إلا وعاه قلبي، فإني كنت أمشي في سوق بغداد فأسمع من عزف المغنيات، فأضع أصبعي في أذني مخافة أن يعيه قلبي. [تهذيب الكمال: 19/95].
* وقال أبو زرعة الرازي: أحفظ مائتي ألف حديث كما يحفظ الإنسان: قل هو الله أحد، وفي المذاكرة ثلاثمائة ألف حديث" [تهذيب الكمال: 19/98، وسير أعلام النبلاء: 13/68].
* وأبو عبد الله الخُتلي دخل وليس معه شيء من كتبه، فحدث شهورًا إلى أن لحقته كتبه. يعني: شحن الكتب ووصل هو إلى البلد قبل وصول كتبه. قال: حدثت بخمسين ألف من حفظي إلى أن لحقتني كتبي [الحث على حفظ العلم، ص: 76].

وكان **المتنَبِّي** وهو صبيٌّ ينزل في جوار بالكوفة، وكان أبوه يُعرَف بعبدان السقَّاء، يَسْتَقي لنا ولأهل المحلَّة، ونشأ هو محبًّا للعلم والأدب، وصَحِب الأعراب، فجاءَنا بعدَ سنين بدويًّا قُحًّا، وكان تعلَّمَ الكتابة والقراءة، وأكثر مِن ملازمة الورَّاقين. فأخْبَرني ورَّاقٌ كان يجلس إليه، قال لي: ما رأيتُ أحفظَ مِن هذا الفتى ابن عبدان، قلت له: كيف؟ قال: كان اليوم عندي وقدْ أحضر رجلٌ كتابًا مِن كتب الأصمعي نحو ثلاثين ورَقَة ليبيعَه، فأخَذَ ينظر فيه طويلاً، فقال له الرجل: يا هذا أريد بيعَه وقد قطعتَني عن ذلك، وإنْ كنت تريد حفظَه فهذا - إنْ شاء الله - سيكون بعدَ شهر، فقال له: فإنْ كنتُ قد حفظتُه في هذه المدة فمالي عليك، قال: أَهَبُ لك الكتاب، قال: فأخذتُ الدفتر مِن يدِه، فأقبل يتلو عليَّ إلى آخرِه، ثم استلَمَه فجعَله في كمِّه، فقام صاحبُه وتعلَّق به وطالبَه بالثمن، فقال: ما إلى ذلك سبيلٌ قد وهبتَه لي! فمنعْناه منه وقلنا له: أنتَ شرطتَ على نفسِك هذا للغلام! فترَكَه عليه. (ابنُ الجَوْزي في "المنتظم" (14/163)

وذكر أبا العلاء بن سليمان، وحكى تلميذه أبو زكريا التبريزي أنه كان قاعدا في مسجده بمعرة النعمان بين يديه يقرأ عليه شيئا من تصانيفه، قال: وكنت قد أتممت عنده سنتين ولم أر أحدا من بلدي، فدخل مغافصة المسجد بعض جيراننا للصلاة فرأيته وعرفته وتغيرت من الفرح، فقال لي أبو العلاء: ما أصابك، فحكيت له أني رأيت جارا لي بعد أن لم ألق أحدا من بلدي منذ سنين، فقال لي: قم وكلمه، فقلت: حتى أتمم السَّبَق، فقال: قم أنا أنتظرك، فقمت وكلمته بالأذربيجية شيئا كثيرا، إلى أن سألت عن كل ما أردت، فلما عدت وقعدت بين يديه قال لي: أي لسان هذا؟ قلت: هذا لسان أهل أذربيجان، فقال: ما عرفت اللسان ولا فهمته غير أني حفظت ما قلتماه، ثم أعاد لفظنا بلفظ ما قلنا، فجعل جاري يتعجب غاية العجب، ويقول: كيف حفظ شيئا لم يفهمه. )بغية الطلب في تاريخ حلب/ ابن العديم(

وكان لأبي العلاء جار أعجمي فاتفق أنه غاب عن معرة النعمان، فحضر رجل أعجمي يطلبه قد قدم من بلده فوجده غائبا ولم يمكنه المقام فأشار إليه أبو العلاء أن يذكر حاجته إليه، فجعل ذلك الرجل يتكلم بالفارسية وأبو العلاء يصغي إليه إلى أن فرغ من كلامه، ولم يكن أبو العلاء يعرف باللسان الفارسي، ومضى الرجل، فقدم جاره الغائب، وحضر عند أبي العلاء فذكر له حال الرجل، وجعل يذكر له بالفارسية ما قال والرجل يبكي ويستغيث ويلطم إلى أن فرغ من حديثه، وسئل عن حاله، فأخبرهم أنه أخبر بموت أبيه وأخوته وجماعة من أهله. [تذكرة الحفاظ - الذهبي ] (1/281)

قال أبو عيسى محمد بن عيسى الحافظ: كنت في طريق مكة وكنت قد كتبت جزءين من أحاديث شيخ، فمر بنا ذلك الشيخ فسألت عنه فقالوا: فلان، فذهبت إليه وأنا أظن أن الجزءين معي، وحملت معي في محملي جزءين كنت ظننت أنهما الجزءان اللذان له، فلما ظفرت به وسألته أجابني إلى ذلك فأخذت الجزءين فإذا هما بياض! فتحيرت، فجعل الشيخ يقرأ علي من حفظه ثم ينظر إلى، فرأى البياض في يدي، فقال: أما تستحي مني؟ قلت لا: وقصصت عليه القصة، وقلت احفظه كله! فقال: إقرأ، فقرأت جميع ما قرأ علي على الولاء! فلم يصدقني وقال: استظهرت قبل أن تجيئني؟ فقلت حدثني بغيره! فقرأ علي أربعين حديثا من غرائب حديثه، ثم قال: هات، فقرأت عليه من أوله إلى آخره كما قرأ فما أخطأت في حر،ف فقال لي: ما رأيت مثلك!! (فضائل سنن الترمذي - الإسعردي - الصفحة ٣٢)

خرج أبو بكر بن أبي داود السجستاني إلى سجستان، فاجتمع إليه أصحاب الحديث وسألوه أن يحدثهم فأبى، وقال: ليس معي كتاب، فقالوا له: ابن أبي داود وكتاب؟! قال: فأثاروني، فأمليت عليهم ثلاثين ألف حديث من حفظي، فلما قدمت بغداد، قال البغداديون: مضى فلعب بالناس! لابد أن نتحقق، فكتبوا كل ما قيل، وجيء بهذه إلى بغداد، وعُرِضَت على الحفاظ فخطأوني في ستة أحاديث؛ منها ثلاثة حدثت بها كما حدثت، يعني: حفظتها أصلاً خطأ، وثلاثة أحاديث أخطأت فيها [سير أعلام النبلاء: 13/223 - 224، وتذكرة الحفاظ: 2/236] هذا الابن فما بالك بأبي داود -رحمه الله-؟!

وقد عرف الشناقطة بقوة الحفظ والذاكرة حتى في زماننا هذا، فمنهم العلامة "سيدي محمـد ابن العلاّمـة سيدي عبد الله ابن الحاج إبراهيم العلوي" رحمه الله توفي عام 1250هـ حيث يقول : " إن علوم المذاهب الأربعة لو رُمي بجميع مراجعها في البحر لتمكنتُ أنا وتلميذي "ألْفَغّ الديماني" من إعادتها دون زيدٍ أو نقصان! هو يحمل المتن وأنا أمسك الشروح" ( أنظر لما سبق/ كتاب من اشتهر بالحفظ وقوة الذاكرة - ل[عبدالعال بن سعد الرشيدي](https://www.alukah.net/authors/view/home/1334/))

راجع كتاب (حفظ الله السنة وصور من حفظ العلماء لها- لأحمد بن فارس السلوم) (و كتاب من اشتهر بالحفظ وقوة الذاكرة - ل[عبدالعال بن سعد الرشيدي](https://www.alukah.net/authors/view/home/1334/))

# كيفية تقوية الحفظ والذاكرة

# أولا: الإلتجاء إلى الله تعالى بالدعاء ومداومة الذكر وكثرة الإستغفار والصلاة على النبي المختار

**قال الله تعالى: (وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ) ﴿الكهف: ٢٤﴾**

وقال تعالى: (وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ) (هود:52)

\* قال ابن القيم: (وحضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار ثم التفت إليّ وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغدّ الغداء سقطت قوتي أو كلاما قريبا من هذا) (الوابل الصيب من الكلم الطيب)

\* وقال: (وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في سننه وكلامه وإقدامه وكتابة أمراً عجيبا ، فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعة وأكثر ، وقد شاهد العسكر من قوته في الحرب أمراً عظيما)

# ثانيا: البعد عن المعاصي لأنها سبب الظلمة والوحشة في القلب، وشؤم المعصية يورث سوء الحفظ، ولا تجتمع ظلمة المعصية مع نور العلم

ويروى أن بعض السلف كان يسير مع تلميذ له فكأنه نظر إلى منكر فنهره شيخه وقال: لتجدن عاقبتها ولو بعد حين! فقال التلميذ: فما مضت الأيام والليالي إلاّ وأنا قد نسيت القران الكريم! وقد قال تعالى: (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ) (البقرة: 282)

ومما ينسب للشافعي رحمه الله:

شَكَوتُ إِلى وَكيعٍ سوءَ حِفظي فَأَرشَدَني إِلى تَركِ المَعاصي

وَأَخبَرَني بِأَنَّ العِلمَ نورٌ وَنورُ اللَهِ لا يُهدى لِعاصي

* أخبرنا أبو عبد الله الحافظ: سمعت علي بن خشرم يقول : شكوت إلى وكيع قلة الحفظ فقال: استعن على الحفظ بقلة الذنوب .اهـ البيهقي في الشعب 2/272
* قال علي بن خشرم: سألت وكيعا قلت: يا أبا سفيان! تعلم شيئا للحفظ؟ قال: أراك وافدا! ثم قال: ترك المعاصي عون على الحفظ. الجامع لأخلاق الراوي 5/57
* قال ابن عباس: "إنما يحفظ الرجل على قدر نيته" [الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: 2/1780].
* وقال عبد الله: "إني لأحسب الرجل ينسى العلم بالخطيئة يعملها" [الزهد، لأحمد، ص: 129].
* قيل لسفيان بن عيينة: بم وجدت الحفظ؟ قال: بترك المعاصي.

وذهب الشافعي إلى مالك يحمل معه كتاب توصية من والي مكة ، وبهذه الهجرة أخذت حياة الشافعي تتجه إلى الفقه بجملتها ، ولما رآه مالك – وكانت له فراسة – قال له : يا محمد ! اتق الله واجتنب المعاصي، فإنه سيكون لك شأن من الشأن، إن الله تعالى قد ألقى على قلبك نورا فلا تطفئه بالمعصية. ثم قال له: إذا ما جاء الغد تجيء ويجيء ما يقرأ لك. ويقول الشافعي : فغدوت عليه وابتدأت أن أقرأ ظاهرا والكتاب في يدي، فكلما تهيبت مالكا وأردت أن أقطع أعجبه حسن قراءتي وإعرابي فيقول: يا فتى زد، حتى قرأته عليه في أيام يسيرة . الشافعي حياته وعصره - وآراؤه الفقهية ص20

# ثالثا: التقليل من الطعام

قال الله تعالى: [وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ المُسْرِفِينَ] {الأعراف:31}،

وقال النبي صلَّى الله عليه وسلم:" ما ملأَ ءادميّ وِعَاءً شَرًّا مِن بَطنِهِ بحَسْبِ ابنِ ءادمَ لُقَيمات يُقِمنَ صُلبَهُ فإن كانَ لا محَالةَ فثُلُثٌ لطَعامهِ وثلُثٌ لشَرابهِ وثُلُثٌ لنَفَسِهِ" رواه الترمذي.

* وقال ابن مسعود رضي الله عنه‏:‏ إن الله تعالى يبغض القارئ السمين. (كتاب إحياء علوم الدين)
* ويقول أحد الحكماء: مَن أرادَ عافيةَ الجِسم فليُقلِّلْ مِنَ الطّعام، ومَن أرادَ عافيةَ القَلب فلْيَترُكِ الآثام ورَاحةَ اللِّسَان في قِلّة الكلام. اهـ
* وقيل: لا تَسكن الحكمة معدةً مُلِئَت طَعامًا.اهـ
* ويقول إبراهيم الخواص: دواءُ القَلب خمسةُ أشياء: قِراءة القرءان بالتّدبّر وخَلاءُ البَطن وقيامُ اللّيل والتّضَرّع عندَ السّحَر ومجالسَة الصّالحين.
* ويقولُ أيضًا: إذا أرَدت حَاجَةً مِن حَوائج الدّنيا والآخِرة فلا تأكلْ حتى تقضِيَها فإنّ الأكلَ يُغيِّرُ العَقل"
* ويقول الشافعي: الشِبَع يُثقِل البدَن ويُزِيل الفِطنَة ويجلِبُ النّوم ويُضعِفُ صاحبَه عن العِبادَة"
* ويقول طبيبُ العرب الحارث بنُ كَلَدَه : المعدةُ بيتُ الدّاء والحِميَةُ رأسُ كلّ دواء.
* وقالَ أحدُ الحكَماء:" لا تَأكُلوا كثيرًا فتَشرَبُوا كثِيرًا فتَنامُوا كثيرًا فتَخسَروا كثيرًا "
* وقيل مكتوب في التوراة‏:‏ "إن الله ليبغضن الحبر السمين"
* وقال لقمان لابنه‏:‏ يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة‏.‏
* وكان سهل بن عبد الله التستري يطوي نيفاً وعشرين يوماً لا يأكل، وكان يكفيه لطعامه في السنة درهم، وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال‏:‏ لا يوافى القيامة عمل بر أفضل من ترك فضول الطعام اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في أكله‏.‏
* وقال‏:‏ لا أعلم شيئاً أضر على طلاب الآخرة من الأكل‏.‏
* وقال‏:‏ وضعت الحكمة والعلم في الجوع ووضعت المعصية والجهل في الشبع‏.‏
* وقال ما عبد الله بشيء أفضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال‏.‏
* وقال‏:‏ رأس كل بِرٍّ نزل من السماء إلى الأرض الجوع، ورأس كل فجور بينهما الشبع‏.‏
* وقال‏:‏ من جوع نفسه انقطعت عنه الوساوس‏.‏
* وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله تعالى إن الله تعالى ما صافي أحداً إلا بالجوع، ولا مشوا على الماء إلا به، ولا طويت لهم الأرض إلا بالجوع، ولا تولاهم الله تعالى إلا بالجوع.
* وقال أبو سليمان الداراني‏:‏ عليك بالجوع فإنه مذلة للنفس ورقة للقلب وهو يورث العلم السماوي‏.‏
* وقال الجنيد‏:‏ يجعل أحدهم بينه وبين صدره مخلاة من الطعام ويريد أن يجد حلاوة المناجاة‏!
* وقالت عائشة رضي الله عنها‏:‏ أول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم‏:‏ الشبع‏.‏

# رابعا: كثرة المذاكرة والتذكير والتكرار والمراجعة

* فإن النبي ﷺ قال: تَعاهَدُوا هذا القُرْآنَ، فَوالذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ لَهو أشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الإبِلِ في عُقُلِها [مسلم]
* وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: (تذاكروا الحديث، فإن الحديث يهيِّج الحديث) تاريخ أبي زرعة الدمشقي (2: 539)
* وجاء عن ابن مسعود رضي الله عنه: (تذاكروا الحديث فإنه يُهيِّج بعضه بعضًا) جامع بيان العلم وفضله (1: 202)
* وأتى عون بن عبدالله بن عتبة في نفرٍ من أصحابه إلى أم الدرداء رضي الله عنها وأخذوا يذاكرونها العلم، ثم قال لها عونٌ: أمْلَلْنَاكِ يا أمَّ الدرداء! فقالت لهم: (ما أمْلَلْتُمُوني، لقد طلبت العبادة في كل شيء، فما وجدت شيئًا أشفى لنفسي من مذاكرة العلم) جامع بيان العلم وفضله (1: 204)
* وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ( تذاكروا الحديث لا يتفلت منكم ، إنه ليس بمنزلة القران، إن القران محفوظ مجموع وإنكم إن لم تذاكروا الحديث تفلت منكم، ولا يقولن أحدكم حدثت أمس ولا أحدث اليوم! بل حدّث أمس وحدث اليوم وحدث غداً)
* وقال : (مذاكرة العلم ساعة خير من إحياء ليلة)
* وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (تزاوروا وتذاكروا هذا الحديث، فإنكم إن لم تفعلوا يَدرُسْ علمُكم) جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر (1: 201)
* وذكر عن ابن مرزوق الهروي أنه كتب سنن الترمذي ستّ مرات .
* وقد ورد في الأثر: (حياة العلم مذاكرته)
* وقال بعضهم: ( تذاكروا الحديث فإن بعضه يهيّج بعضا ) وما نسي العلم إلاّ بترك مذاكرته.
* وقال علي بن الحسن بن شقيق قمت مع ابن المبارك ليلة باردة ليخرج من المسجد، فذاكرني عند الباب بحديث فذاكرته، فما زال يذاكرني حتى جاء المؤذن وأذن للفجر .
* وقال إبراهيم الحربي: (إذا أردت أن تحفظ حديثاً فحدث به)
* ويقول الزهري رحمه الله: (إنَّما يُذهِبُ العلمَ النسيانُ وتركُ المذاكرة) سير أعلام النبلاء (5: 337).
* وقال أبو القاسم بهاء الدين القفطي الشافعي (697هـ) (أعرف عشرين علمًا، أُنسِيتُ بعضها لعدم المذاكرة) طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي (8: 392).
* وقال بعضهم: "سمعت صائحاً يصيح: والأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، والأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، ساعة طويلة فكنت أطلب الصوت إلى أن رأيت ابن زهير وهو يدرس مع نفسه من حفظه حديث الأعمش" [الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: 2/267].
* وعن معاذ بن معاذ قال: "كنا بباب ابن عون فخرج علينا شعبة وقد عقد بيديه جميعاً فكلمه بعضنا، فقال: لا تكلمني فإني قد حفظت عن ابن عون عشرة أحاديث أخاف أن أنساها" [الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: 1/238]، فهو لا يزال يعيد ويكرر حتى يحفظ.
* وكان أبو إسحاق الشيرازي يعيد الدرس مائة مرة. إذا أراد أن يحفظ درسًا أعاده مائة مرة.
* وكان الحسن بن أبي بكر النيسابوري يقول: لا يحصل الحفظ لي حتى يعاد خمسين مرة [الحث على حفظ العلم لابن الجوزي ص: 43 - 44]

# خامسا: إغتنام أوقات الصفاء

* قال الخليل النحوي : ( وأصفى ما يكون ذهن الإنسان وقت السحر ) .
* قال الخطيب البغدادي : ( أجود أوقات الحفظ الأسحار ثم وسط النهار ثم الغداة ) .
* وقال : ( حفظ الليل أنفع من حفظ النهار ) .
* وقال : ( وأفضل المذاكرة : مذاكرة الليل ) .
* وقال أحمد بن الفرات: "لم نزل نسمع شيوخنا يذكرون أشياء في الحفظ فأجمعوا أنه ليس شيء أبلغ فيه إلا كثرة النظر، وحفظ الليل غالب على حفظ النهار" [الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: 2/265].
* وقال إسماعيل بن أبي أويس: "إذا همت أن تحفظ شيء فنم-مبكرا- وقم عند السحر" [الجامع لأخلاق الراوي: 2/265]
* وورد عن بعضهم في أكل بعض الأطعمة التي تنشط الحافظة : كأكل الزبيب ، وأكل اللبان ، وشم الطيب ، والحجامة ، وشرب زمزم

# سادسا: رفع الصوت بالقراءة

* ومن الأمور المعينة على الحفظ: رفع الصوت بالقراءة: قال الزبير بن بكار: "دخل علي أبي، وأنا أروي في دفتر ولا أجهر، أروي فيما بيني وبين نفسي، فقال لي: "إنما لك من روايتك هذه ما أدى بصرك إلى قلبك، فإذا أردت الرواية فانظر إليها واجهر بها فإنه يكون لك ما أدى بصرك إلى قلبك وما أدى سمعك إلى قلبك" [الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: 2/266].
* وعن أبي حامد أنه كان يقول: لأصحابه: "إذا درستم فارفعوا أصواتكم، فإنه أثبت للحفظ، وأذهب للنوم"
* وكان يقول: "القراءة الخفية للفهم والرفيعة للحفظ" [الحث على طلب العلم، لابن الجوزي، ص: 72].
* وعن عبد الرزاق قال: "كان سفيان الثوري عندنا ليلة، قال: وسمعته قرأ القرآن من الليل وهو نائم، ثم قام يصلي فقضى حزبه من الصلاة، ثم قعد فجعل يقول: الأعمش والأعمش والأعمش، ومنصور ومنصور ومنصور، ومغيرة ومغيرة ومغيرة، فقلت له: يا أبا عبد الله، ما هذا؟ قال: هذا حزبي من الصلاة، وهذا جزئي من الحديث" [الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: 2/265].